

فى رحاب سيدى المفضل السقاط

من يوم الخميس ٢٨ ربيع ثانى سنة ١٣٩٠ هـ حتى السبت ٣٠ ربيع ثان ١٣٩٠ هـ

الموافق ٢ يوليه سنة ١٩٧٠ م حتى ٤ يوليه سنة ١٩٧٠ م

سيدي المفضل السقاط رضى الله عنه

١ - ذكر سيدي محمد الطيب السفيناني في كتاب "الإفادة الأحمدية" أن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه قال : " أوصاني صلى الله عليه وسلم على المفضل السقاط ، وقال لي : لا تفرط فيه ، وما كنت أذنت له في الطريق ، والآن أذنت له وأطلقت له من هنا " ، وذكر أن السبب في قول الشيخ ذلك أنه قيل له : إنه يسلم عليك وهو بقنا من أرياف مصر يعطى طريقك .

٢ - وترجم له سيدي العربي بن السائح في كتاب " بغية المستفيد " عند قول النبيه في تعداد المفتوح عليهم بالولاية بسبب صحبة سيدنا رضى الله عنه : والسيد المفضل المفضل بما ملخصه : " أما السيد المفضل الفاسي وكان من أفراد أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه ...إلى أن قال : ولما سافر إلى الشرق آل أمره في سفره بعد حجه إلى أن استوطن بقنا ، فلم يشعر الإخوان ذات يوم إلا وقد أخبر سيدنا رضى الله عنه أنه جدد له الإذن وأجاز له في الطريق بالإجازة العامة والإذن المطلق " انتهى ملخصاً .

٣ - كما ترجم له سيدي الحاج أحمد سكيرج القاضي بالمغرب الأقصى في كتابه " كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب " ، قال : " ومنهم ريحانة الأولياء ، وتاج الأصفياء ، المتوج بتاج العناية ، المبرز على منصة الولاية ، المقدم الجليل ، أبو البركات سيدي الحاج المفضل السقاط .

هذا السيد من خاصة الخاصة ، الذين شهد بفضلهم العامة والخاصة ، فقد كان رحمه الله من المفتوح عليهم في هذه الطريقة الحمديّة ، المشهود لهم بالنعمة العام بين أهل التربية..إلى أن قال : ثم إنه في بعض الأيام أخبرهم سيدنا رضى الله عنه أنه جدد له الإذن في الطريق وأطلق له في التقديم لتلقيها حين أوصاه النبي صلى الله عليه وسلم " .

ثم نقل عن كتاب " الإفادة الأحمدية " نص هذه الوصية ، وهي التي ذكرناها سابقاً .

وقد سافرت إلى قنا في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ هجرية الموافق مارس سنة ١٩٢٦ م ، أى منذ ٤٦ سنة للوقوف على شئ من أخبار سيدى المفضل السقاط وما انتهى إليه أمره رضى الله عنه .

وكتبت - فى تعليقى على ما ذكره صاحب الإفادة الأحمدية عند ذكره وصية النبى صلى الله عليه وسلم للشيخ رضى الله عنه على سيدى المفضل - ما وصل إليه علمى عند سفرى لقنا إذ ذاك بما ملخصه :

" إننى لقيت بقنا بالمسجد العتيق ، التقى الجليل صاحب الخلق النبيل السيد محمد المغازى الذى دلى على الفاضل الصالح الشيخ حسن سعد الدين ، وعنده اجتمعنا بالأديب السيد أحمد شرقاوى الذى أخبرنا أنه سمع الشيخ رفاعى مقلد - وكان من الصالحين - يتلاهى مع الشيخ أحمد عبد الغفار النقيب لأنه بنى بيته فى المقبرة التى كانت بجوار سيدى عبد الرحيم على قبر سيدى المفضل .

كما أخبرنا الحاج راشد بكير والشيخ أحمد أبو حكيم أنه قد تواتر عنه أنه كان يصرف من تحت السجادة .

وأخبرنا الشيخ حسن عثمان والشيخ عبد المجيد سليمان الدربالى - ومنزله مجاور لمنزل سيدى المفضل - أن زاوية أبى سلمة كانت زاويته التى يدرّس فيها ، ومنزله بجوارها معروف باعتبه ابنته السيدة خديجة .

واجتمعنا أيضاً بالشيخ مصطفى عبد الغفار صاحب المنزل الذى به قبر سيدى المفضل ، وأخبرنا أنهم شاهدوا من عظيم بركاته وجيل كراماته الشئ الكثير ، ومن ذلك أن سارقاً سطا على منزلهم فظهر له الشيخ رضى الله عنه وحبسه إلى الصباح ، ولذلك كان إذا خاف على شئ تركه فى فناء الدار عند قبره رضى الله عنه وأغلق على نفسه وأهله الحجرة التى هو فيها ونام مطمئناً ، وكثيراً ما كانوا يرونه عياناً نهاراً أو ليلاً .

وقد اجتمعنا بالشيخ على كمالى عندما ذهبنا لنرى منزل الشيخ - ومنزله مجاور لمنزله - فأخبرنا أنه كان صبياً بالمكتب يقرأ القرآن ، وكان هو والصبيان يملكون بسيدى المفضل فيقبلون يده وكان يدعو لهم ، وهو الوحيد الذى رآه ممن اجتمعنا بهم وسنه نحو خمس وسبعين سنة إذ ذاك ، وقد أخبرنا أن الشيخ رضى الله عنه كان مسناً وكان عالماً ولياً وكان من المغرب .

وسافرنا إلى بلدة تسمى الصعايدة تبع إسنا التى فيها أولاد بنت الشيخ رضى الله عنه فاجتمعنا بأولاد الشيخ عبد الرحيم ابن بنت سيدى المفضل وأصهاره ، كما اجتمعنا بالشيخ محمد الفخار إمام مسجد السنجق ، وعلمنا منهم أنهم يترددون على منزل الشيخ مصطفى عبد الغفار النقيب لزيارة سيدى المفضل ، كما كان السيد عبد الرحيم ابن بنت الشيخ يفعل ، وهم يعلمون أن الشيخ من فاس من عائلة السقاط ، وأنه شريف من أهل العلم والولاية .

وظالما سمعوا من الشيخ عبد الرحيم المذكور أن جده سيدى المفضل لا يبلغ مرتبته فى الولاية ولى من أولياء القطر المصرى كسيدى عبد الرحيم وسيدى أحمد البدوى ونحوهما . وأنه خلف السيدة رقية وتركها بفاس ، والسيدة حفيظة تزوجت بالمنيا ، والسيدة خديجة والدة الشيخ عبد الرحيم ، والسيد عبد الحليم وقد مات غريقاً فى حياة والده رحمه الله تعالى ، وكان لهم أخ أو ابن عم بالمدينة من العلماء اسمه السيد عبد الله السقاط .

ويعرفون عن الشيخ أنه كان لا يخرج من خلوته إلا للدرس غالباً وكان يصرف من تحت السجادة ، أما الشيخ عبد الرحيم - فقد كان توفى منذ زمن قريب عندما كنا فى زيارتهم - فكان يعلم شيئاً كثيراً عن جده وكراماته وأسراره ، وكان ينقل بعض الفوائد عن كتبه رضى الله عنه " انتهى من كتاب " الإفادة الأحمدية " .

٤ - وسيدى المفضل من علماء المغرب الأفاضل ، وكان الحج فى زمنه بطريق قنا والقصير ومنها إلى الوجه فينبع فالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

فبعد أن حضر من المغرب للحج ، وبعد أن أدى الفريضة طابت له الإقامة فى قنا ، حيث كان ينفذ إليه ركب الحجيج القادم من المغرب والعائد من الحج ، وكانوا يقيمون عنده ما طابت لهم الإقامة ، يدرسون عنده العلم ويربيهم التربية الخاصة ، ويعلمهم دقائق الشريعة ، وحقائق المعرفة .

وكان وفوده إلى قنا حوالى ١٢٢٠ هجرية الموافق سنة ١٨٠٥ م ، منذ سبعين ومائة سنة .

٥ - هذا وقد أزيل فى هذه السنين الأخيرة المنزل الذى به قبر سيدى المفضل وبنى على قبره مبنى صغير ثم صرح بتوسعته ، ولذلك أحببنا السفر إلى قنا لمعاينة مكان المبنى الذى سيقام على قبره إن شاء الله تعالى .

فسافرنا إلى قنا فى صبيحة الخميس ٢٨ ربيع ثانى سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ٢ يوليه ١٩٧٠ م بالقطار السريع ، فوصلناها الساعة ٥ مساء بعد العصر بقليل ، وكان فى انتظارنا الأستاذ الحاج محمد السيد شحاتة محضر أول محكمة الأقصر وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الصبور حسن بهلول إمام وخطيب مسجد سيدى عبد الرحيم القنائى والشيخ يس أبو المجد هميمى وجماعة من أصحابنا بإسنا وصاحب الفضيلة الشيخ عطا عبد الراضى عالم بلدة المصالحه التابعة لنجع حمادى .

فبدأنا بالمسجد وصلينا الظهر والعصر قصرأ جمع تأخير .

ثم زرنا مقام سيدى المفضل السقاط ورأينا الفضاء الذى سببنى حوله إن شاء الله ، ثم ذهبنا إلى منزل الأخ الفاضل الأستاذ عبد الفتاح سيد مصطفى وكان قد أعد لنا الغداء فتغذينا عنده . ثم عدنا للمسجد وألقينا درساً بين المغرب والعشاء بمسجد سيدى عبد الرحيم ، وقد حضر الدرس الأستاذ الفاضل صاحب المكارم والهمة العالية والأخلاق النبيلة اللواء عبد الفتاح الزينى مدير أمن محافظة قنا ، وكثير من العلماء والأدباء وأعيان قنا ، والأستاذ أحمد حسن جبره رئيس جمعية الشبان المسلمين بقنا .

وبتنا تلك الليلة - وهى ليلة الجمعة - بدار جمعية الشبان المسلمين ، وهذه الدار مفخرة من حيث الاستعداد والسعة والنظام .

والأستاذ أحمد جبره رجل عمل له نشاط واسع لمنفعة المسلمين ، وقد أسس جمعية الشباب المسلمات لتثقيف الفتيات المسلمات ، وجعل بها قسماً لتقييم به الموظفات المغتربات صيانة لهن ، ولتزودن بمعرفة الدين ويتعودن على الأخلاق الكريمة ، وله نشاط فى شتى النواحي النافعة ، بارك الله فيه ونفع به .

وصلينا الجمعة بمسجد سيدى عبد الرحيم ، وألقى خطبة الجمعة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الصبور .

وأبى ذو المكارم نبيل الأخلاق اللواء عبد الفتاح الزينى مدير الأمن إلا أن يدعونا للغداء على مائدته مع جماعة من أصدقائه ، وقام بإكرامنا أتم إكرام .

ثم عدنا إلى جمعية الشبان المسلمين وشاهدنا قاعة المحاضرات وكيف هى فيها أسباب راحة الزائرين ، وكتبنا كلمة فى سجل الزيارات .

ثم رافقنا السيد رئيس جمعية الشبان المسلمين إلى مسجد سيدى عبد الرحيم حيث صلينا العشاء ، وتشرفنا بلقاء السيد المدير وفضيلة الشيخ عبد الصبور وجماعة .

وقد دعانا فضيلة الشيخ عطا عبد الراضى إلى زيارته ببلدته المصالحة وهى تبعد عن قنا بمسافة قصيرة وتناول العشاء والمبيت عنده ، فأبى فضل السيد المدير إلا أن يكون سفرنا بسيارته الخاصة إلى تلك البلدة ، فودعناه وشكرنا له هذه الأريحية والمروءة وسافرنا بسيارته .

وقد ألقى فضيلة الشيخ عطا عبد الراضى كلمة ترحيب جزاه الله خيراً ، ثم ألقينا كلمة قصيرة فى وفود الزائرين وبتنا عنده ليلة السبت ، وفى صباح السبت ركبنا أول قطار للقاهرة .

محمد الحافظ التجانى

كلمة سيدي محمد الحافظ في مسجد سيدي عبد الرحيم القنائي ليلة الجمعة

السلام عليكم ورحمة الله ، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ،
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل
وسلم وبارك على سيدنا محمد صفيك ونيك وخليتك وحجتك على بريتك ، صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه وسلم .

أخرج البخارى فى صحيحه : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : " بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً عَيْنًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ - وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -
فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحِيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ ، فَتَبِعُوهُمْ
بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ ، فَاقْتَصَبُوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرِ تَزَوَّدُوهُ مِنْ
الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمْرٌ يَثْرِبُ . فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُّوهُمْ ، فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ
لَجُّوا إِلَى فَدَفِدٍ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ ، فَقَالُوا لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا
نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا . فَقَالَ عَاصِمٌ : أَمَا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ .
فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ ، وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرٌ ، فَأَعْطَوْهُمْ
الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ
قِسِيَّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا . فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ الَّذِي مَعَهُمَا : هَذَا أَوَّلُ الْعَدْرِ . فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ
فَجَرَّوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَقَتَلُوهُ ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا
بِمَكَّةَ ، فَاشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نُوفَلٍ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ ،
فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ اسْتَحْدَّ بِهَا
فَأَعَارَتْهُ ، قَالَتْ فَعَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ
فَرَعْتُ فَرَعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي ، وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى فَقَالَ أَتَخَشَّيْنِ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ . وَكَانَتْ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ

وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ وَإِنَّهُ لَمُوتٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ ، فَخَرَجُوا بِهِ مِنْ
الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ : دَعُونِي أُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ . ثُمَّ انصَرَفَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا
بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ . فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرُّكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ
أَحْصِهِمْ عَدَدًا ، ثُمَّ قَالَ :

ولستُ أبالي حينَ أُقتلُ مُسْلِمًا على أيِّ شئٍ كانَ لله مَصْرَعِي
وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإنِ يشأ يُباركُ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عَقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ فُرَيْشٌ إِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ
يَعْرِفُونَهُ ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ
الدَّبْرِ^(١) فَحَمَّتُهُ مِنْ رُسُلِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ .

وفى رواية عند ابن إسحاق وكذا فى رواية بريدة بن أبى سفيان : " أن عاصمًا لما قتل أرادت
هزيل أخذ رأسه لبيعه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وهى أم مسافع وحلاس ابنى طلحة
العبدرى وكان عاصم قتلها يوم أحد ، وكانت نذرت لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن
الخمير فى قحفه ، فمنعته الدببر"^(٢) .

أما خبيب بن زيد فهذه كرامة له فى حياته وهبه الله إياها ، حين كان يأكل العنب فى وقت
لم يكن بمكة منه شئ .

وأما عاصم بن ثابت فهذه كرامة له من الله عز وجل بعد وفاته ، حين حماه الدببر من
المشركين الذين أرادوا شيئاً من جسده .

والمعجزة للأنبياء والكرامة للأولياء ، ويقول بعض الناس إنه ليس هناك كرامة بعد الموت ،
ولكن المعجزة يخلقها الله لأنبيائه والكرامة يخلقها الله لأولياءه متى شاء ، سواء بعد موتهم أو فى
حياتهم ، فخالق المعجزات والكرامات حى لا يموت .

١ - النحل والزنبور .

٢ - فتح البارى ٣٠٣ ، ٣٠٧ / ٧ .

وقد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم من سورة الكهف : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ)^(٣) ، وكان أبوهما صالحاً ، أكرمهما الله لأجله بعد وفاته فهذه كرامة له من الله عليهما ، فالذى ينكر ذلك مخالف قطعاً للكتاب والسنة ، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله : " إذا خالف قولي كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بكلامي عرض الحائط " .

والولاية إنما هي أن يتولى الله عبداً برحمته وبإكرامه وبتوقيه وبتزكيتيه ، (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ)^(٤) .

وإنما أراد الله تبارك وتعالى أن يظهر كرامات الأولياء في حياتهم وبعد وفاتهم ليكونوا أسوة لمن بعدهم ، فإنهم ما نالوا ذلك إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)^(٥) .

وليس المراد بالأسوة أن يلبس كما يلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب ، ولا أن يقيم ظواهر العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ، مع ترك المقصود منها وهو الخشوع والانحياش إلى الله عز وجل ، مع الاعتراف بنعمته والأدب معه ، بل لابد مع الاقتداء الظاهر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الاقتداء بباطنه الشريف من صفاء الإيمان والطهارة ، والتجمل بأخلاقه صلى الله عليه وسلم .

وقد جمع الله عز وجل فيه جميع المكارم ، وجعله نبزاً ومثلاً أعلى للإنسانية الطاهرة الكريمة العليمة بربها ، المتقية له حق تقاته ، المملوءة بمحبته ، وكم من عابد طغى الشح عليه بالفضاظة ، وكم من عالم لسان جاهل القلب .

٣ - سورة الكهف ، الآية ٨٢ .

٤ - سورة النور ، الآية ٢١ .

٥ - سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

فالأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم هو أن يقتدى المسلم بظاهر كماله وباطنه صلى الله عليه وسلم ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم حياته كلها لله مع الله ، قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)^(٦) ، يريدون وجه الله اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)^(٧) .

فهناك منزلتان رفيعتان راقيتان : مقام المحبة ، ومقام المحبوبة ، وفرق بين من يحب الله وبين من يحبه الله ، فلا يزال العبد يتقى الله ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يصل إلى مقام المحبوبة .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَجِبَّهُ . فَيَجِبُهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَجِبُّهُ . فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ))^(٨) .
فهذا قد يكون مدثوراً خاملاً الذكر ، وهو معروف بين أهل السماء عند الله وجبريل والملائكة ، فمحور عمل المسلم كله الإخلاص وأكل الحلال .

روى الحاكم فى المستدرک على الصحیحین : عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَبْكِي فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : ((إِنْ يَسِيرَ الرَّيَاءُ شِرْكًَا وَإِنْ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يَعْرِفُوا قُلُوبَهُمْ

٦ - سورة الكهف ، الآية ٢٨ .

٧ - سورة آل عمران ، الآية ٣١ .

٨ - أخرجه البخارى فى صحيحه .

مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ)) ، أى من كل فتنة ، من كل بلية ، لأن الحق سبحانه أعطاهم نوراً كاشفاً ، وجعل لهم فرقاناً يفرقون به بين الحق والباطل .

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً)^(٩) فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ((يا سعد ، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به)) ، " الترغيب والترهيب " ، رواه الطبرانى فى الصغير .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسَلِّمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بِوَأَيْقُهُ ، قَالُوا : وَمَا بِوَأَيْقُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، قَالَ : غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ فَيَنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارِكَ لَهُ فِيهِ وَلَا يَتَّصِدَّقَ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ وَلَا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْنَحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَلَكِنْ يَمْنَحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، إِنَّ الْخَيْثَ لَا يَمْنَحُو الْخَيْثَ))^(١٠) .

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يجعلنا من ورثته ظاهراً وباطناً ، وأن ينصرنا على أنفسنا ، وعلى أعداء الإسلام أينما كانوا وأن يردهم خائبين خاسرين ، اللهم اكفناهم بما شئت .

والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد الحافظ التجانى

٩ - سورة البقرة ، الآية ١٦٨ .

١٠ - رواه الإمام أحمد وغيره ، الترغيب والترهيب جزء ٣ ص ١٤٧ .

كلمة سيدى محمد الحافظ فى منزل فضيلة الشيخ عطا عبد الراضى ليلة السبت^(١١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اللهم لك الحمد والثناء ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النور الكامل ، مختار الله عز وجل من خلقه ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه .

إنى أشكر الله تبارك وتعالى ، ثم أقدم شكرى لأخى الصديق مولانا صاحب الفضيلة الشيخ عطا عبد الراضى جزاه الله عن نفسه وعن وعن المسلمين خير الجزاء ، فلقد عاشرناه وحمدنا ما أنعم الله عليه من خلق كريم ، وقد أفاض فيما يراه من الخير فى مرآة أخيه ، وإذا كان المؤمن مرآة أخيه فقد رأنا فى نفسه ، وقانا الله وإياه ، وفتح علينا وعليه الفتح الأكبر .

روى مسلم فى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)) ، قال النووى الإمام الكبير شارح صحيح مسلم : " وفى هذا دليل على أن العبد الصالح يرى الملك ويتمثل له فى صورة رجل ، كما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الملائكة فى غزوة بدر ، ورأوا جبريل فى صورة أعرابى ، والسيدة عائشة رأت جبريل فى صورة دحية الكلبي " .

وما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس قال : كُنْتُ مَعَ أَبِي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ فَكَانَ كَالْمُعْرِضِ عَنِ أَبِي ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ لِي أَبِي : أَيُّ بَنِي أَلَمِ تَرَى إِلَى ابْنِ عَمِّكَ كَالْمُعْرِضِ عَنِّي ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتِ إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ ، قَالَ : فَرَجَعْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا وَكَذَا فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَ عِنْدَكَ رَجُلٌ يُنَاجِيكَ ، فَهَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَحَدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

١١ - بعد أن قدمه الشيخ عطا للحاضرين بأسلوب بليغ .

وسلم : ((وَهَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكَ جِبْرِيلُ وَهُوَ الَّذِي شَعَّلَنِي عَنْكَ))^(١٢) .

عبد الله الفتى الصغير رأى جبريل يحدث النبي صلى الله عليه وسلم والعباس أبوه لم يره ، هذا هو الفضل الرباني ، كيف كشف الله عن عينه ؟ هل رآه بالعين الحسية ؟ بل رآه بعين البصيرة ، كشف عنه الحجاب فأصبحت عينه روحانية ، فهي روحانية حسية .

يفهم من هذا أن الانسلاخ عن الجسد والتخلص من البشرية يعطى الروح قوة تنتشر على أجزاء الجسد فيصبح لطيفاً ، فتجسد الأرواح يقابله تروحن البشرية والسمو بها حتى تصل إلى مقام الروحانية .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ؟ الْيَوْمَ أَظْلُهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي)) رواه مسلم .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، إِمَامٌ عَدْلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ نَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ)) رواه البخارى .

رجلان تحابا فى الله اجتماعا عليه وافترقا عليه ، ما الذى يفرق بين المتحابين فى الله ؟ الشيطان يوقع بينهم ويفعل بهم كما فعل بين أخوة يوسف ، وشأن الشيطان الحسد ، فيبدأ بسوء الظن ورؤية النفس .

وقد روى فى الخبر أن خصلتين ذميتين سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس ، وخصلتين ممتدحتين حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس .

١٢ - مسند شاكر جزء ٤ ص ٢٦٧٩ .

ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه بالدموع خشية من الله عز وجل أو فرحاً به أو حال
تغشاه .

وعن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((يَا
أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَعْطِطُهُمُ
الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ
وَأَلْوَى يَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ
وَلَا شُهَدَاءَ يَعْطِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ انْعَتَهُمْ لَنَا - يَعْنِي صِفَهُمْ
لَنَا - فَسَرُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي
اللَّهِ وَكَصَافُوا ، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَائِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهُهُمْ نُورًا
وَيُثَابَهُمْ نُورًا ، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ)) (١٣) .

وروى البخارى فى صحيحه عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ
فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا
يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ)) .

اللهم اجعلنا من المتحابين فى جلالك ، اللهم تب علينا كى نتوب .

وجزاكم الله خير الجزاء ، وبارك لكم فى أموالكم وأولادكم وفى كل شىء هو لكم ، وأقبل
علينا وعليناكم بمحض فضله ورضاه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد الحافظ التجانى

١٣ - الترغيب والترهيب جزء ٣ ص ٢٥٣ ، أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح
الإسناد .

الكلمة التي كتبها فضيلته فى سجل زيارات جمعية الشبان المسلمين بقنا يوم الجمعة

أرسل الله عز وجل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مثلاً عليا تقود المجتمع الإنسانى إلى الرفعة والسعادة .

والسعادة بمعناها الصحيح هى أن يكون الإنسان كامل الأخلاق ناعم البال قير العين فى الدنيا ، مقبولاً عند ربه ناعماً بجواره مشمولاً برضاه فى الدنيا والآخرة .

وقد وضع الرسل عليهم السلام - بإذن ربهم - أسس الكمال والفضيلة ، " إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ " .

وإن لعدوك عليك حقاً ، (وَلَا يَجْرِمُنْكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)^(١٤) ، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)^(١٥) .

فمن وفقه الله وارتضاه وهياًه لتحقيق هذه المعانى التى قام بها الأنبياء عليهم السلام ، فهو من ورثة الرسل عليهم السلام ، يسير على نهجهم ، ويأتسى بهم ، وهم الأسوة الكاملة المبلغة عن الله عز وجل .

وأشرف شئ وأرفعه فى هذه الحياة - المحدودة بين ولادة المرء وانتقاله إلى الدار الآخرة ، دار العرض على البارئ المنعم سبحانه - أن يكون وارثاً لبعض ما قام به الأنبياء عليهم السلام .

ونحمد الله أن وفقنا لزيارة البلد الكريم قنا ، وقد كانت فى التاريخ الأول مركزاً لهذا القطر الكريم ، فإن العاصمة الأولى فى زمن ما كانت قفط التابعة لقنا .

وكانت قنا عاصمة يمر بها الحجاج وفود الله إلى الحرمين الشريفين ، فيمرون إلى الأقصر ومنها إلى الأرض المقدسة .

وقد تشرفت بزيارة هذا المعهد الذى أسس على التقوى لحمل رسالة رسل الله صلى الله وسلم عليهم ، ولتحقيق التراث المحمدى الذى جمع الرسالات الأولى وارتقى بها إلى الأوج .

١٤ - سورة المائدة ، الآية ٨ .

١٥ - سورة النحل ، الآية ٩٠ .

وتشرفت بقاء صديقنا الأستاذ أحمد حسن جبره رئيس جمعية الشبان المسلمين بقنا ، وأسأل
الله عز وجل أن يحفنا وإياه بالقبول وحسن الخاتمة ، وجميع المشرفين على هذا المعهد النوراني ،
والحمد لله رب العالمين .

محمد الحافظ التجاني

يوم الجمعة المبارك ٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ
الموافق ٣ يوليه ١٩٧٠ م